

## دراسة طبيعة السبّ واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة

أكبر توحيدلو

أستاذ مساعد في قسم علوم القرآن والحديث بجامعة پیام نور، طهران، إيران. (tohidlou53@yahoo.com)

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٣/٢٠

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/١/١٦

### Imprecation and Curse (La'an) by Imam Ali in Nahj-ul-Balagha

Akbar Tohidlou

Assistant Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Payame Noor University (tohidlou53@yahoo.com)

Received: 10/December/2017

Accepted: 08/October/2017

#### Abstract

Imprecation and curse are among the topics over which has always been controversy in the history of Islam. Although imprecation (sabb) and curse (la'an) seem synonyms, literally they refer to different concepts as they enjoy different implications in verses and Hadith. Using these words interchangeably has given rise to confusion and accusations among Muslims. The present paper explores sermons, letters, and wise statements of Nahj-ul-Balagha for affronts addressed to others. Reviews of these materials clearly showed that there exists some difference between imprecation and curse. Lexicologists have judged imprecation and affront as synonyms. The Qur'an also differentiates between these two words. Making a case of these words, The Qur'an obviously gives credit to their use. In deeds and words of the Prophet and also in some Hadith attributed to him there are cases of curse which have addressed hypocrites, pagans, and foes of Islam and Muslims. The present study is a library research with a focus on the sermons, letters, and wise statements of Nahj-ul-Balagha.

**Keywords:** Imprecation, Curses, Nahj-ul-Balagha, Imam Ali(AS).

#### الملخص

لقد أفرد موضوع «السبّ واللعن» مكاناً له في أروقة تاريخ الإسلام، كما شكلت مادة دسمة دارت حولها صراعات كثيرة. فيبدو في النظرة الأولى أنّ السبّ واللعن مرادفان، غير أنّ الإمعان في الجانب اللغوي للآيتين ووردهما في الآيات والأحاديث يظهر لنا ما يبعدهما عن البعض من فوارق. فعدم التمييز بين ما يحمله كل منهما من مفهوم قد أدى إلى ظهور شبهات مختلفة وتوجيه شتى أنواع التهم من ناحية مختلف أتباع الطوائف الإسلامية. هذا المقال ينوي النظر في ثنايا ما ورد في ذلك من الخطب والرسائل والحكم في نهج البلاغة في توجيه الشتائم إلى بعض الناس. ظهر لنا بعد دراسة النتائج أنّ السبّ واللعن مختلفان. ذهب علماء اللغة أنّ السبّ مرادف للشتيم. لكن اللعن يحمل معنا مختلفاً يعني الابتعاد عن الرحمة. فعلى غرار علم اللغة هناك فارقاً بين الآيتين في القرآن. وهذا يدل على جواز استخدامه. أما السنة النبوية تنطوي على لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب ومن أظهر العداة للمسلمين. والأسلوب المتبع في تأليف هذا المقال هو الأسلوب المكتبي ودراسة الخطب والرسائل والحكم في نهج البلاغة.

**الكلمات المفتاحية:** السبّ، اللعن، نهج البلاغة، الإمام علي (ع).

## المقدمة

منهاج المنطق، وعدم اللجوء إلى السب والاهانة في مواجهة عقائد المعارضين، كما روي عن النبي (ص): «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» (الشيخ المفيد، ٢٠٠٠: ١١٨) وورد في حديث آخر: «لا تسبوا الرياح؛ فإنها مأمورة، ولا تسبوا الجبال ولا الساعات، ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم» (قمي، (الرضي، ٢٠٠٦: ٢ / ٥٧٧) قال رسول الله (ص): «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه» (قمي، ١٩٩٣: ٤ / ٣٧٧).

سمع أمير المؤمنين (ع) رجلاً يشتم قبر وقد رام أن يرد عليه فناده أمير المؤمنين (ع): «مهلاً يا قبر دع شاتمك مهاناً ترضى الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه» (أمالي، ٢٠٠٠: ١١٨) وجاء في رواية أخرى: «من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاه» (ابن أبي الحديد، ١٩٩٥: ٢٠ / ٢٧٣) عن الإمام موسى الكاظم (ع): «ما تساب اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل» (الديلمي، ١٩٨٧: ٣٠٥).

كما روي أنه في يوم صفيين سمع الإمام (ع) أن أصحابه يسبون أهل الشام فقال: «كْرَهُتُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا: لِعَائِنَ، شَتَائِمَ تَشْتِمُونَ، وَتَبْرُهُونَ، وَلَكِنْ لَوْ وَصَفْتُمْ مَسَائِرَ أَعْمَالِهِمْ فَعَلْتُمْ مِنْ سَيْرَتِهِمْ كَذًا وَكَذًا، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ كَذًا وَكَذًا، كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ، وَلَوْ قُلْتُمْ مَكَانَ لَعْنِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَبِرَاءَتِكُمْ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَهُمْ، وَدِمَاءَنَا» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٠٤).

كما قال الإمام (ع) قبل مواجهة العدو يوم الصفيين: «ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فأنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول» (م. ن: ٣٥٢).

وَرُوِيَ أَنَّهُ (ع) كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَوِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقَالَ (ع): «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ هَبَابَهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلْمِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّهَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَاتِهِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ، فَوَتَّبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ،

يعد السب واللعن والاهانة، من الأخلاق الذميمة المنتشرة في الكثير من المجتمعات، وشهدتها العرب في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام. إن الإهانة تشكل أرضية ملائمة لانتشار الأخلاق الذميمة في المجتمعات، وما يتبعها من الآثار والتداعيات، ومن الواضح أن الإلمام بتداعيات سلوك المرء يمكن أن تحول دون ظهور الكثير من الانحرافات، وأن يترك تأثيره الإيجابي في ذلك الأمر.

كان السب عند بعض الطبقات الاجتماعية، ظاهرة اعتيادية، بل كان معياراً إيجابياً بينهم، فإذا أرادوا أن يجذبوا أطراف الحديث فيما بينهم، كان يرون الإهانات والتنازير بالألقاب الذميمة أمراً ممتعاً، وبلغ الأمر بهم درجة أنهم كانوا يرون ذكر المثالب مفخرة لهم.

## إطار الموضوع

يعنى السب واللعن استخدام المفردات المذمومة والبديئة والمؤذية، ويراد بالسب الحديث عن القضايا المذمومة والمستهجنة باستخدام العبارات الصريحة، وإيراد المفردات السيئة والتي لاتليق بالمكانة الإنسانية، ويحمل السب مفهوماً متسع النطاق ويتضمن كل أنواع التهم السيئة.

ينهى القرآن عن الإهانة نهياً شديداً حتى لو كان الآخر كافراً. فيستنبط من بعض الروايات أن عدداً من المؤمنين كانوا يسبون أحياناً أصنام المشركين، وذلك كردة فعل منهم على عمل المشركين، فنهاهم القرآن عن ذلك بصريح العبارة وأوجب عليهم احترام أسس الأدب حتى في مواجهة أكثر الأديان خرافة.

يقول الله تعالى في الذكر الحكيم: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» (الأنعام/ ١٠٨) ينقل الشيخ الطوسي عن الحسن البصري في سب نزول الآية: كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار إله المؤمنين، فكان المؤمنين قد أشركوا من حيث لا يعلمون (الطبرسي، ١٤٠٦: ٤ / ٤٢١).

تأمر الروايات المسلمين بترك الإهانة، والاعتماد على

## دراسة طبيعة السبِّ واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة / ٦٥

الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي ت ٦٥٦ هـ، هو أكثر الشروح تفصيلاً على نهج البلاغة، ويحظى بتأييد المسلمين كافة، هذا الكتاب مكوّن من ٢٠ جزءاً، ويسير على ترتيب نهج البلاغة، إذ يبدأ بالخطب ثم بالرسائل وأخيراً بالكلمات القصيرة.

٣. ترجمة نهج البلاغة الفارسية لدشتي، يُعدُّ محمد دشتي (ت ٢٠٠١) من كبار العلماء المعاصرين، ذاع صيته بسبب الكتب التي نشرها في مجال نهج البلاغة وخاصة ترجمة نهج البلاغة، ومعجم نهج البلاغة، ومقدمات كتبها في مستهل كل خطبة ورسالة، وإلقاء نظرة عابرة على سيرة الشخصيات الواردة في الخطبة، وذكر المناسبة التي قيلت فيها تلك الخطب، واتخاذ الإمام (ع) لتلك المواقف، ويمكن إدراجها في إطار سوابق هذا البحث.

### السبِّ ومفهومه المفهوم اللغوي

السبِّ والاهانة على أنواع، ويحمل كل منهما في الأدب العربي مفهوماً خاصاً، وتفيدنا المعاجم أنّ هذه المفردات: الهجو، والهجر، والسبِّ، والشتم، والاهانة، والتفحش، والعار، والبذاءة، والسلطة، وما شابهها، تشكل أنواعاً للسبِّ والاهانة. فالاهانة هي الإساءة نحو الآخر أكثر مما هو لازم (دهخدا، ١٩٤٦: ٣٥/١٢) بعبارة أخرى إذا ما تجاوزت السيئات حدها، يلجأ الشخص إلى السبِّ. أما التفحش فيعني الهجاء، والسبِّ يعني القول السيئ أو الإهانة.

قال الراغب: السبِّ هو الشتم الوجيع (الاصفهاني، ١٩٩٧: ٢٢٥) وذهب ابن أثير أنّ الإهانة تعني الشتم لاغير (ابن أثير، ١٩٨٨: ٤/٣٣٠) كما ذهب كل من الجوهري (الجوهري، ١٤١٦: ٤/٢١) والطريحي (الطريحي، ١٩٩٦: ٦/٣٠٩) وابن منظور (ابن منظور، ١٩٩٦: ١/٤٥٥) هذا المذهب عند الحديث عن مفهومها لغويًا. يبدو أنّ علماء اللغة اعتبروها مرادفة للسبِّ والشتم، غير أنّ اللعن يحمل مفهوماً مختلفاً، ويعني البعد عن الرحمة (م. ن) فلو راجت بين الناس تعني طلب الطرد وتحمل مفهوماً مختلفاً عن السبِّ والشتم.

إنّ السبِّ واللعن يختلفان لغويًا كما يختلفان من ناحية المعنى، ويظهر هذا الاختلاف في القرآن الكريم واضحاً؛

فَقَالَ (ع): رُوِيَ إِذَا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ» (م. ن: ٥٢٠).

و هناك عددٌ كبير من الروايات التي تؤكد على الابتعاد عن السبِّ وتوجيه الإهانة والشتم، لكن لو نظرنا إلى خطب الإمام علي (ع) ورسائله وحكمه في نهج البلاغة، لرأينا أحاديث تدلّ على ضرورة سبِّ بعض المشركين والمنافقين وحتى أصحاب الإمام (ع) وأهل الكوفة، هذا ومنع أهل البيت (ع) أتباعهم من التفوه بالسبِّ والإهانة؛ بين هذا وذاك، إنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هذا: لماذا تحدّثوا أحياناً بعبارات تُعارض أوامرهم الصريحة؟

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية وهي:  
ما هو السبِّ في ورود عبارات في نهج البلاغة تتضمن نوعاً من الإهانة والشتم؟

هل تعد هذه الحالات من مصاديق السبِّ والشتم، أم أنها مجرد لعن؟

سيلقى هذا البحث الضوء على بعض أحاديث الإمام علي (ع) كما ورد في خطبه ورسائله وحكمه، ويكشف نوع الخطاب الكامن فيها؛ هل هي تصنّف ضمن الإهانة أم السبِّ، أم أنها أحاديث قيلت في إطار العادات والتقاليد السائدة آنذاك، وهل يمكننا عدّها معارضة للقرآن أم لا؟

### سوابق البحث

لم يدوّن في هذا المجال كتاب مستقل يعالج الأمر، غير أن هناك أبحاثاً يمكن أن نعدّها مقدمة لهذا البحث، مثل كتاب ١. «مفهوم اللعن والسبِّ في القرآن الكريم، المجمع العلمي لأهل البيت (ع)» فالكتاب من تأليف المجمع العلمي لأهل البيت (ع) وباللغة العربية ويتطرق إلى مفهوم السبِّ واللعن، ومكوّن من عدة فصول، ألقى الكاتب الضوء بداية على مفهوم السبِّ واللعن، ومن ثم تطرق إلى سمات اللعن والملعون، ثم ركّز على دراسة اللعن مفهوماً وذلك في جانب المعتقدات. كما أولى اهتماماً بآراء الخلفاء حول السبِّ واللعن، وكذلك آراء أهل البيت (ع) في المجال ذاته. هذا الكتاب متوفر على موقع المجمع العلمي لأهل البيت (ع).

٢. مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. إنّ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد من تأليف أبي حامد عبد

والإعتدَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ وَإِنْ  
أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمًا». ثم يقول عن عثمان: «إِلَى أَنْ قَامَ تَالِثُ  
الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَيْلِهِ وَمُغْتَلْفِهِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٠).  
كما هو واضح من العبارات فإن الإمام عبّر عن انتقاده  
لهما في لباس التشبيه وبمختلف الأمثلة، وكان يرمي من هذا  
إلقاء الضوء على معنويات وأخلاق الخلفاء الثلاثة، فحقق ما  
يصبو إليه مستعينا بمختلف الأساليب التعبيرية.

## ٢. مخاطبة أهل البصرة

يذم الإمام (ع) في الخطبة الـ ١٣ أهل البصرة بعد وقعة  
الحمل، ويلومهم على جهلهم: «كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرَاةِ، وَأَتْبَاعَ  
الْبَيْمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعَقَرَ فَهَرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ  
شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ  
مُرْتَهَنٌ بِدَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتْدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ»  
(الرضي، ١٣٦٨: ٣٦).

ألقى الإمام (ع) الخطبة الـ ١٤ ودم فيها أهل البصرة قبل  
وقعة الحمل ولام جهلهم وسفاهتهم: «خَفَّتْ عُقُولُكُمْ  
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِتَابِلٍ وَأُكْلَةٌ لِأَكِيلٍ وَفَرِيْسَةٌ  
لِصَائِلٍ».

وجاءت الخطبة ١٥٦ قبل تحقيق النصر في وقعة الحمل عام  
٣٦ والخطاب موجّه لأهل البصرة: «وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ  
النِّسَاءِ وَضِعْنُ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ» (م. ن: ٢٠٤).  
ألقيت الخطب الثلاثة قبل يوم الحمل، إذ وقف أهل البصرة  
بوجه إمام زمانهم دعماً لفئة ضالة، فانتصر الإمام (ع) عليهم بعد  
حرب دامية، ووجه لهم انتقاده في الخطب الثلاثة.

## ٣. لعن أشعث بن قيس

الخطاب في الخطبة الـ ١٩ موجّه لأشعث بن قيس، وذلك بعد  
أن احتج الأشعث على الإمام، وردّ الإمام (ع) عليه قائلاً: «عَلَيْكَ  
لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ الْأَعْيُنِ! حَائِكُ ابْنِ حَائِكِ! مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ! وَاللَّهِ  
لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً وَالْإِسْلَامَ أُخْرَى!» (م. ن: ٤٢).

كان الأشعث بن قيس من المنافقين والخوارج، وكان قد  
تولّى ولاية أذربيجان في عهد عثمان بن عفان، عندما تولّى  
الإمام (ع) الخلافة، أبقاه والتيا على أذربيجان وأرمينية. لعب  
الأشعث في موقعة صفين دوراً بارزاً سواء في الحرب أو في  
مفاوضات التحكيم، وكان من الذين أُرغموا الإمام على قبول

مفردة اللعن وردت في القرآن ٣٧ مرة ونسبت إلى الله  
تعالى، ونقلت على لسان الناس مرة واحدة، فهذا العدد من  
الورود يدل على جواز التفوه بها، غير أن السب ورد في  
القرآن مرة واحدة، ونهى عن الإهانة، وهذا يدل على عدم  
جواز السب والشتم.

أما في السنة النبوية نرى العشرات من الأحاديث، والتي  
تشتمل على لعن المشركين، والمنافقين، وأعداء الرسالة،  
وأهل الكتاب، ومن أبدوا العداوة للمسلمين (بسيوني زغلول،  
١٤١٠: ٦ / ٥٩٥) كما ورد في التواريخ «جهّزوا جيش  
أسامة، لعن الله من تخلف عنه» (الطبري، ١٣٨٧: ٣/  
٢٢٦؛ شهرستاني، ١٤١٠: ١ / ١٢٩).

## مصاديق اللعن والملعونين في القرآن والروايات

يظهر لنا عند دراسة آيات القرآن الكريم أن الملعونين أربع  
فئات: إبليس، وهو أول الملعونين، واستحق اللعن الإلهي  
كما ورد في الذكر الحكيم: (وَإِنَّ عَلَيْنَا لَلْغَنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)  
(ص/ ٧٨) والكفار، كما ورد في القرآن الكريم: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ  
الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) (الأحزاب/ ٦٤) أهل الكتاب: (لُعِنَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ  
مَرْيَمَ) (مائدة/ ٨٧) والمسلمون، وهم على عدة أقسام:  
الكلابيين (النور/ ٧) والظالمين (هود/ ١٨) ومن آذى النبي  
(ص) (الأحزاب/ ٥٧) ومن اتهم البريات بالزنا (النور/ ٢٣)  
والمنافقين (التوبة/ ٦٨) والقتلة (النساء/ ٩٣) والفاستدين  
(محمد/ ٢٢) وقاطعي الأرحام (محمد/ ٢٢).

## دراسة نص الخطب والرسائل والحكم الواردة في نهج البلاغة

بعد أن خضنا في التعريفات وألقينا الضوء على الخطوط  
العريضة للنص، واتضح لنا ما يفرق بين السب واللعن، ننتقل  
إلى صلب الموضوع وهو دراسة أحاديث الإمام علي (ع) في  
نهج البلاغة حول موضوع السب واللعن. لقد وردت عبارات  
في ٤٢ خطبة ورسالة وحكمة في نهج البلاغة، تدلّ على أن  
الإمام لعن البعض وشتمهم.

## ١. مخاطبة الخلفاء

إنها الخطبة الشهيرة بالشقشقية، إذ وجّه نقده للخليفة الثاني  
بالقول: «يَغْلُظُ كُلُّمُهَا وَيَحْشُنُ مَسْهًا وَيَكْتُرُ الْعِتَارُ فِيهَا

## دراسة طبيعة السب واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة / ٦٧

في جُحْرَهَا، وَالضَّبْعُ فِي وَجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ» (م. ن: ٨٢).

خطب الإمام خطبة رقم ٧١ عام ٣٧ هـ بعدما انصاعوا لخدع عمرو بن العاص ومعاوية، فيخاطبهم محذرا: «وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ فَأَتَاكُمْ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ» (م. ن: ٨٤).

أما الخطبة رقم ١٠٨ يتحدث فيها عن الأحداث الصعبة المستقبلية: «مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحَ وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحَ وَنُسَاكًا بِلَا صَلَاحَ وَتُجَارًا بِلَا أَرْبَاحَ وَأَيْقَاطًا نُومًا وَشُهُودًا غُيْبًا وَنَاطِرَةً عَمِيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَاءَ وَنَاطِقَةً بِكَمَاءَ رَايَةً ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَيَّ قُطْبِيهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشَعْبِيهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِيهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِيهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَيَّ الضَّلَالَةِ» (م. ن: ١٤٠).

أما في الخطبة ١٢١؛ بعد أن قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد؛ صفق (ع) ثم قال: «أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ السُّوَكَةِ بِالسُّوَكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ صَلَعَهَا مَعَهَا اللَّهُمَّ قَدْ مَلَأْتُ أَطْبَائِي هَذَا الدَّاءَ الدَّوِيَّ وَكَلَّتِ التَّرْعَةُ بِأَشْطَانِ الرِّكْبِيِّ» (م. ن: ١٦٢).

خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٣١ على المنبر وتُعرف بالخطبة المنبرية: «أَيُّهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ غُفُولُهُمْ أَظَارَكُمْ عَلَيَّ الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفَرُونَ عَنْهُ نَفُورَ الْمِعْرَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ» (م. ن: ١٧٤).

و ذهب الشارحون لخطبة ١٧٥ أن الإمام (ع) كان مُسنداً إلى عمود مسجد المدينة وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ» (م. ن: ٢٣٤).

و خطب الإمام (ع) خطبة رقم ١٨٠ عام ٣٧ بهدف تقديم العون لمحمد بن أبي بكر في مصر وفي ذم العاصين من أصحابه: «لَأَبَا لَيْغِيرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِبَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَيَّ حَقَّكَ الْمَوْتِ أَوْ الدَّلِّ لَكُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تَشْحَدُكُمْ أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّعَامَ... وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّايِعَةِ» (م. ن: ٢٤٤).

و ألقى خطبة رقم ٢٣٨ في شأن الحكمين وذم أهل الشام: «جُفَاءَ طَعَامٍ وَعَبِيدَ أَقْرَامٍ جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَتَلَقُّوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ» (م. ن: ٣٣٦).

التحكيم، واختيار أبي موسى الأشعري حَكَمًا لأهالي العراق (الدينوري، ١٩٩٩: ١٧١) من هنا تعتبره الروايات الشيعية «خائنا مخضرمًا». قال الأشعث للإمام: لو لم تقبل بالتحكيم، فلا يحارب إلى جانبك شخص واحد من قبيلتي (الطبري، ١٣٨٧: ٤/٥٦٩-٥٧٢).

### ٤. مخاطبة أهل البصرة

يخاطب الإمام (ع) أهل الكوفة في الخطب ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ و ٣٩ و ٦٩ و ٧١ و ١٠٨ و ١٢١ و ١٣١ و ١٧٥ و ١٨٠ و ٢٣٨ يذمهم فيها، لكن لا يوجد فيها السب.

ألقى الإمام الخطبة ٢٧ عام ٣٨ هـ. ق عندما وصله خبر هجوم جيش معاوية على مدينة الأنبار، وتساؤل أهل الكوفة وتراخيهم، إذ قال: «يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومِ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولِ رَبَّاتِ الْحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً - وَاللَّهِ - جَرَّتْ نَدَمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا فَأَتَاكُمْ اللَّهُ! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَعْتُمُونِي نَعَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٥٢).

جاءت الخطبة ٢٩ بعدما شنَّ ضحاك بن قيس عام ٣٧ هجوما على قافلة الحجاج وسلبهم أموالهم: «أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابِ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ! أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ دِفَاعِ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ، لَا يَمْنَعُ الصَّيْمَ الذَّلِيلُ!» (م. ن: ٥٤).

كما ألقى الإمام الخطبة ٣٤ بعد إنزال الهزيمة بالخوارج عام ٣٧، بهدف استنفار الناس إلى أهل الشام في نخيلة الكوفة: «أَفِّ لَكُمْ!... فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ... مَا أَنْتُمْ إِلَّا كِبَابِلُ ضَلَّ رُغَائِهَا...» (م. ن: ٥٨).

أما الخطبة ٣٩ خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر؛ تلك الأراضى المعمورة الواقعة غربى الفرات وقصور أهل الكوفة عام ٣٩ هـ: «لَا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِبَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ؟ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ» (م. ن: ٦٤).

أما الخطبة ٦٩ خطبها عام ٣٩ هـ عندما علم بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر وذم فيها أهل الكوفة: «أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَأَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبَّةِ

المهاجرين (ابن هشام، د. ت: ١ / ٢٥١ - ٢٥٢؛ المسعودي، ١٤٠٩: ٢ / ٢٧٧؛ ابن الاثير الجزري، ١٤٠٩: ٢ / ٤٦٨) كان طلحة من ضمن الذين طوّقوا بيت عثمان عام ٣٥. وأتتهم بقتل الخليفة الثالث (البلاذري، ٢٠٠٠: ٥ / ٥٦١) ويقال أنّ طلحة يُعدُّ من العناصر الرئيسية المحرّضة على قتل الخليفة الثالث (اليقوي، د. ت: ٢ / ١٧٥) ثار على الإمام على (ع) في وقعة الجمل (ابن خياط، ١٤١٥: ١٠٨) واعتبره الإمام (ع) أنه أمكر الناس (ابن أعثم الكوفي، ١٤١١: ٢ / ٤٦٣-٤٦٤) قتل طلحة وترك بعد وفاته ثروة هائلة، وفي يد خازنه ألف درهم ومائتا ألف درهم، وقوّمت أصوله وعقاره بثلاثين ألف درهم (ابن سعد، ١٤١٠: ٣ / ١٦٦-١٦٧).

لقد زار طلحة والزبير الإمام، فقالوا: إنه قد لنا بعد رسول الله جفوة فأشركنا في أمرك، فقال: «أنتما شريكاي في القوة والاستقامة وعوناي على العجز والأود»، فقالوا: «إنا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج»، فقال على لبعض أصحابه: «والله ما أرادا العمرة، ولكنهما أرادا الغدرة» (اليقوي، د. ت: ٢ / ١٨٠).

#### ٦. مخاطبة مصقلة بن هبيرة

في عام ٣٧ ابتاع مصقلة سبي بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين (ع) وأعتقهم، فلما طالبه المال استنكف وهرب إلى الشام، فقال له الإمام (ع): «قَبَحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فَعَلْ أَسَادَاتٍ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٦٦).

كان مصقلة بن هبيرة عامل الإمام (ع) على أحد مدن فارس وكان قد بذل أموال بيت المال إلى أقاربه في فترة حكمه، بلغ الإمام هذا الأمر، فنهاه عن فعله، وطالبه الأموال، وصل مصقلة إلى البصرة واقترح دفع أقل من نصف أموال بيت المال، فرفض الإمام، فانضم إلى معاوية (الطبري، ١٣٨٧: ٥ / ١٢٩).

#### ٧. مخاطبة معاوية

قال الإمام (ع) في آخر أيام حياته الشريفة، في ذم أهل الكوفة وتحذيرهم: «أَمَّا إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَجِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ» (الرضي، ١٣٦٨: ٧٦)

مدح الإمام على (ع) أهل الكوفة قبل وقعة الجمل وبعدها عندما انتصر على العدو؛ لهذا كان السواد الأعظم من أهل الكوفة داعمين للإمام قلبا وقالبا؛ كما لا يغيب عن بالنا بأنّ أناسًا من أهالي الكوفة فضّل عدم الخروج إلى الحرب، فترك الإمام وحيدا يخوضها؛ وهم قاتلوا إلى جانبه أهل الجمل والخوارج ويوم الصنفين، لانسى أنه في وقعة الجمل حضر ٤٠٠ مقاتلا من المدينة والمدن الأخرى إلى البصرة وقدّموا العون للإمام (ع)، لكن كان أهل الكوفة يشكلون الأغلبية في الحروب الأخرى التي خاضها الإمام (البلاذري، ٢٠٠٠: ٢ / ١٥٨؛ الطبري، ١٣٨٧: ٤ / ٤٧٧-٤٧٩؛ المسعودي، ١٤٠٩: ٣ / ١٠٣-١٠٥) لكن السؤال المطروح هنا يدور حول ذم الإمام (ع) إياهم والرسالة التي يحملها الذم في خطبه.

لقد اختار الإمام (ع) تلك الكلمات والخطب كآخر حلٍّ لتلك الفئة، فالذين لا تحرك الأحداث حميتهم، ويتقبلون برحاب الصدر شتى أنواع الشتائم والإساءات، أراد الإمام باتخاذ هذا الأسلوب في الكلام إثارته لمواجهة العدو، هذا إذا بقي في ذاتهم أقل المشاعر التي تحرك ساكنًا.

إنّ استخدام هذا السبيل يأتي بثماره في مواجهة بعض الفئات، كما يؤكد علم النفس على هذا الأمر. أراد الإمام أن يقوم بعمل يثير فيهم الحمية، من هنا نرى أنّ استخدام هذا الأسلوب في التعبير يأتي متناسقا مع قضية البلاغة في الكلام. هذا ويستخدم الإمام هذا الأسلوب بعدما استخدم أساليب أخرى ومنها شحذ الهمم والحديث عن القيم المعنوية والمادية مثل الجهاد في سبيل الله. فهذه الأحاديث قد جرت على لسان من يئس من أتباعه ولا يرى سبيلا سوى التفوه بتلك المفردات العنيفة، بغية استيقاظهم من سباتهم.

#### ٥. مخاطبة طلحة والزبير

أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل فقال: «لَاتَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنُهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ» (الرضي، ١٣٦٨: ٥٤).

وقال (ع) في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له عام ٣٦ قُبيل الحرب: «وَأَنَّهَا لَلْفَيْئَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحُمَّةُ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ» (م. ن: ١٨٠).

أسلم طلحة بن عبيد الله على يد أبي بكر. وكان من

(٤٤٤) ولمعاوية مساوى لاتعد ولا تحصى، لانقطة إيجابية في سمات معاوية الظاهرية والأخلاقية والدينية، فكل ما فيه سلبيات ليست إلا.

#### ٨. حول مروان بن الحكم

الخطبة ٧٣؛ قالوا: أَخَذَ مَرْوَانَ بِنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ (ع) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَ لَهُ يُيَايَعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ (ع): «أ» وَلَمْ يُيَايَعِي بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ لِاحْتِاجَةِ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفَتْ يَهُودِيَّةً لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَعَدَرَ بِسَبِّهِ أَمَا إِنْ لَهُ إِمْرَةٌ كَلَعَقَةَ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةَ وَسَتَلَقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ» (الرضي، ١٣٦٨: ٨٦)

كان أبو العاص بن أمية من الذين آذوا الرسول وهو والد مروان، وكان الرسول قد طرده (البلاذري، ٢٠٠٠: ٤ / ١٨٥) لعن الرسول مروان وأباه ونفاهما من المدينة. عندما تولى عثمان الخلافة، مهد الأرضية لعودة مروان وأبيه إلى المدينة، وأصبح من خواصه وتزوج ابنته (ابن عساکر، ١٤٢١: ١ / ٣٤٠) بعدما تولى الإمام علي (ع) أمر المسلمين، مع أنه بايع الإمام، لكنه صار من الناكثين، وتوجه إلى البصرة في وقعة الجمل، فشهد الحرب، لكن قُبِضَ عليه، توجه مروان إلى معاوية، وشهد صفين مدافعا عن معاوية، كما ولاه معاوية ولاية البحرين لفترة من الزمن.

#### ٩. خطابه إلى النساء

خطب (ع) بعد فراغه من حرب الجمل في مسجد البصرة عام ٣٦ وقال: «مَعَايِرُ النَّاسِ إِنْ النَّسَاءُ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقَعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وَأَمَّا نَقْصَانُ عَقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَأَمَّا نَقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النَّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٩٠).

وقد أوصى (ع) عسكره قبل لقاء العدو بصفين بالاهتمام بالنساء: «فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ».

ومن وصية له (ع) للحسن (ع) كتبها إليه عند انصرافه من صفين عام ٣٨: «وَإِيَّاكَ وَمُشَوَّرَةَ النَّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ

و بعد حرب صفين قال في مدينة الكوفة عام ٣٧: «وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ» (م. ن: ٣٠٠)

و كتب إلى معاوية في أرض الصفين عام ٣٦ قبل بدايته: «مَنْ دُنِّيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِيْرِيَّتِيهَا وَخَدَعَتْ بِلَدَّتِيهَا دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا وَقَادَتَكَ فَأَتْبَعْتَهَا وَأَمْرَتَكَ فَأَطَعْتَهَا وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَأَقِفْ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْرُؤٌ فَافْعَسْ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ وَلَا تُمَكِّنِ الْعُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ وَلَا تَفْعَلْ أُغْلِيْمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخِذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالِدَمِ وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ يَغْيِرُ قَدَمَ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأُحْدَرْكَ أَنْ تَكُونَ مَتَمَادِيًّا فِي غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفِ الْعَلَانِيَّةِ وَالسَّرِيَّةِ» (م. ن: ٣٤٨).

و كتب أيضًا (ع) إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه في صحراء صفين عام ٣٧: « وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ» (م. ن: ٣٥٤).

و كتب أيضًا (ع) إلى معاوية جوابا له بعد موقعة الجمل عام ٣٦: «لِلطَّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطَّلُقَاءِ» (الرضي، ١٣٦٨: ٣٦٤) وكتب أيضًا (ع) له: «وَأُرْدِيَتْ جِيَالًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتُهُمْ بِعَيْكَ وَالْقَيْتُهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاظِمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ... فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَالْآخِرَةُ قَرِيْبَةٌ مِنْكَ وَالسَّلَامُ» (م. ن: ٣٨٢).

و أرسل (ع) إلى معاوية عام ٣٦ هـ قبل وقعة الصفين: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطْرَاحِ الْوَتَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلْبَةٌ» (م. ن: ٣٨٦).

و من كتاب له (ع) إلى معاوية جوابا لتهديده بالهجوم العسكري: «وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبُ الْمُقَارِبُ الْعَقْلُ» (الرضي، ١٣٦٨: ٤٣٠).

اعتبر الإمام (ع) معاوية من الطلقاء ومن أسلموا في فتح مكة (ابن عساکر، ١٤٢١: ١ / ٣٤٩) ودعا رسول الله أن لا يشيع بطنه (البلاذري، ٢٠٠٠: ٤ / ١٢٥) عيَّنه عمر عاملا للاردن (اليقوي، د. ت: ٢ / ٨٦؛ الطبري، ١٣٨٧: ٤ /

تتضمن الخطبة السب والشتم.

#### ١١. خطابه في بعض جنوده

ومن كلام له (ع) في بعض أيام صفين: «وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ كَشِيشَ الصَّبَابِ» (م. ن: ١٦٤) فلا سب في هذه الخطبة.

#### ١٢. مخاطبة الخوارج

خطب الإمام قبل وقعة النهروان عام ٣٧ رافضا عقائدهم: «ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَضَرَبَ بِهِ يَدَهُ» (م. ن: ١٧٠).

و وصف فئة انضموا إلى الخوارج في خطبة ال ١٨١: «بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعْدَتْ تُمُودُ» (م. ن: ٢٤٤).

أما الخوارج فهم فئة من المسلمين خرجوا على الإمام (ع) في وقعة الصفين وقضية التحكيم بعد رفعهم القرآن على الرماح وإصرارهم للرجوع إلى القرآن، ثم أثاروا البلبل، فأشعلوا نيران النهروان، وبعد تلقي الهزيمة في النهروان، شكّل من تَبَقَّى من هذه الفئة الحجر الأساس لتيار اجتماعي وسياسي وعسكري وعقائدي خاص بهم وفقا لأرائهم، ولكن طال عليهم الأمد فانقسموا وتفرقوا (البلاذري، ٢٠٠٠: ١١٢/٣-١١١).

بايع الخوارج في العاشر من شوال عبد الله بن وهب أميرًا لهم، واتفقوا فيما بينهم على الخروج من الكوفة وخوض حرب النهروان (الطبري، ١٣٨٧: ٥ / ٧٤-٧٥؛ الجزري، ١٣٨٥: ٣ / ٣٣٥-٣٣٦) فقتلوا في طريقهم الأبرياء، وأنهى الإمام الجدل معهم، وخاض الحرب مرغما، وقتل في يوم النهروان بعام ٣٨ أغلبهم (البلاذري، ٢٠٠٠: ٥ / ١٦٩؛ يعقوبي، د. ت: ٢ / ١٩٣؛ الطبري، ١٣٨٧: ٥ / ٩٢-٨٠؛ تأريخ بغداد، ١ / ٥٢٨).

وصفاتهم أغلبها مذمومة؛ مثل حفظ القرآن وقراءته بلا تفكير، والعبادة الكثيرة الخالية من حقيقة الإيمان، والتظاهر بالزهد، وضيق النظر، والجهل بالسنة النبوية وأحكام الدين، والتشكيك في المعتقدات (أبوشباب، ١٤٢٦: ١٤٦-١٥٩).

#### ١٣. لعن مغيرة بن الأحنس

وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأحنس

وَعَزَمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ وَاكْتَفَفَ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِجِجَابِكِ  
إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْجِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ  
مِنْ إِدْخَالِكِ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا يَعْرِفَنَّ  
غَيْرَكَ فَافْعَلْ وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ  
الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَلَا  
تُطْجِعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِعَيْرِهَا (م. ن: ٨٦)

و قال الإمام (ع) على سبيل ضرب المثل: «الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا يَدُّ مِنْهَا» (م. ن: ٤٨٢).

المرأة والرجل متساويان في الإسلام في الجوهرية الإنسانية، لكن العقل عقلا: «العقل المعيار» وهو الذي يقود الإنسان إلى الكمال والقرب الإلهي، ف«العقل ما عبد به الرحمان» (الكليني الرازي، ١٩٩٦: ١ / ٥٠) هذا هو العقل للأهواء النفسية. و«العقل المحاسب» وهو تلك الآلية التي تُسْتَعْدَمُ في ترتيب أوراق المعاش. يتقدم الرجل على المرأة في هذا المجال عادة، لكنه ليس معيارا للكمال بل يمثل نوعا من تقسيم العمل الطبيعي، وفي المقابل فإن المرأة تتمتع بالجانب العاطفي الكبير مقارنة بالرجل.

يفيدنا علم النفس أن للرجال والنساء ذكاءا يختلف عن البعض، فلرجال ذكاء يتسم برؤية متمركزة، وللنساء ذكاء حواس ورؤية مفتوحة. هذا الأمر يترك تأثيره على حكم الرجل والمرأة. فلا تخفى عن منظار الرجال شاردة ولا واردة، بينما تفكر المرأة بإنزال أشد العقوبات، ذلك إن شدتها في الغضب تساوي سرعتها في التعبير عن الحب (مجد، ٢٠٠٢: ١٠١ و ٩٧).

أما صفة نواقص الإيمان فإنها إشارة إلى ترك الصلاة والصوم عند العادة الشهرية، فإنها لا تَوَدِّي الفرائض في هذه الأيام انصياعا لأوامر الله. وعبرة نواقص الحفظ تشير إلى نصيب المرأة المالي في بعض الأشكال مثل الإرث؛ فإن نصيبها أقل من الرجل، ويتم التعويض عن النقص بشكل آخر، أما الشهادة فإن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل في القتل والزنا وهو ملائم لسيكولوجية المرأة (م. ن).

#### ١٠. خطابه إلى أهل الشام

و يخطب الإمام (ع) عام ٣٧ هـ في جنوده تحفيزًا لهم: «وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَأَنْجِيزَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمْ الْجُفَاءُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ» (الرضي، ١٣٦٨: ١٤٠) فلا



## دراسة طبيعة السب واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة / ٧١

ورفض مبايعة معاوية بداية الأمر، لكنه بوساطة من المغيرة بن شعبة سار إلى معاوية، ودعاه معاوية «زياد بن أبي سفيان» استنادا إلى كلام نقله عن أبيه، كان زياد عنيفا جدا، وبالرغم من قتاله إلى جانب الإمام علي (ع) في الصفين والتظاهر بالتشيع، في فترة حكمه على البصرة والكوفة، تراجع عن عقيدته واتخذ العنف والقسوة سبيلا في التعامل مع الشيعة، فألقى الكثير منهم في السجن وقتل بعضهم، ومنهم حجر بن عدي وأصحابه (الدينوري، ١٩٩٩: ٢١٩).

### ١٧. خطابه في عمرو بن العاص

له (ع) خطاب إلى عمرو العاص عام ٣٩ هـ بعد الصفين: « فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٌ غَيْبُهُ مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسْفِئُ الْحَلِيمَ بِخُلَاطِيهِ فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتَّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضَّرْعَامِ يَلُودُ بِمَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلٍ فَرِيَسْتِهِ فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ » (الرضي، ١٣٦٨: ٣٨٨).

كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده، وشهد معه صفين، ومقامه فيها مشهور. بدأ التحكيم بخدعة من عمرو العاص وانتهت بخدعة منه (الجزري، ١٤٠٩: ٤ / ٢٤٤؛ بصرى، ١٤١٠: ٤ / ٢٥٤).

### الرسم الإيضاحي للخطب والرسائل ومضامينها

نوع الذم	المخاطب	الخطبة/الرسالة	رقم
انه تشبيه وليس سبا	الخلفاء	خ ٣	١
الذم	أهل البصرة	خ ١٣	٢
الذم	أهل البصرة	خ ١٤	٣
اللعن	الأشعث	خ ١٩	٤
انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ٢٧	٥
انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ٢٩	٦
انه تشبيه وليس سبا	طلحة	خ ٣١	٧
انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ٣٤	٨
انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ٣٩	٩
انه ذم وليس سبا	مصقلة	خ ٤٤	١٠
انه تشبيه وليس سبا	معاوية	خ ٥٧	١١
انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ٦٩	١٢
اللعن	أهل الكوفة	خ ٧١	١٣
انه تشبيه وليس سبا	مروان الحكم	خ ٧٣	١٤

لعثمان: «أنا أكيفيكه»، فقال أمير المؤمنين (ع) للمغيرة: «يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لِأَصْلِ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي، فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ، اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أُبْقِيَتْ!» (الرضي، ١٣٦٨: ١٣٥)

هو المغيرة بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة الثقفي حليف بنى زهرة وإنما قال له أمير المؤمنين (ع) يا ابن اللعين لأن الأحنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفات قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله (ص) مائة إبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأحنس قتله أمير المؤمنين (ع) يوم أحد كافرا في الحرب وهو أخو المغيرة هذا والحقد الذي في قلب المغيرة عليه من هذه الجهة. إنما قال له: يا ابن الأبتَر لأن من كان عقبة ضالا خبيثا فهو كمن لاقب له بل من لاقب له خير منه (ابن أبي الحديد، ١٩٩٥: ٨ / ٣٠١).

### ١٤. ذم برج بن مسهر الطائي

قال (ع) ردًا على برج بن مسهر الطائي، وقد قال له: «لا حكم إلا لله» وكان من الخوارج: «اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرُمُ» (الرضي، ١٣٦٨: ٢٥٤).

### ١٥. ذم عاصم بن زياد

لبس عاصم بن زياد عباءة وتخلي عن الدنيا فقال له الإمام (ع): « يَا عُدَيَّ نَفْسِي لَقَدْ اسْتَهَمَ بِكَ الْحَبِيثُ ... قَالَ وَيَحْكُ إِيَّيْ لَسْتُ كَأَنْتَ » (م. ن: ٣٠٦).

تَخَلَّى الإمام عن نصحه لكنه لم يسيه، بل طالبه باتخاذ الاعتدال والوسطية في قضايا الدنيا والآخرة (ابن أبي الحديد، ١٩٩٥: ١٠ / ١٦٠).

### ١٦. خطابه في زياد بن أبيه

له (ع) رسالة إلى زياد بن أبيه يقول فيها: « وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ » (الرضي، ١٣٦٨: ٣٥٦).

كان زياد بن أبيه عاملا للإمام علي (ع) ومعاوية، ولأه الإمام بلاد اصطنخر بأرض فارس بعد صلح الإمام حسن (ع)

للنبي الأكرم، تتضمن لعن المشركين والمنافقين وأعداء الرسالة وأهل الكتاب والذين عادوا المسلمين كثيرا، هذا الأمر يدل على جواز اللعن والشتيم.

فكما رأينا لا يسب الإمام (ع) أي شخص، لكن هناك من لعنهم الله، وهم الأشعث بن قيس وعبد الله بن الكواء، والبرج بن مسهر الطائي، ومغيرة بن الأخنس، كما لعن الإمام أهل الكوفة، لأنهم اتهموه بالكذب، كما وجّه الكلام للخلفاء وأهل البصرة والكوفة ١١ مرة، وإلى طلحة مرتين، وإلى مصقلة بن هبيرة ومعاوية ٨ مرات، ومروان بن الحكم والنساء ٤ مرات، وأهل الشام وجنوده، وإلى الخوارج مرتين، وإلى علاء بن زياد وزياد بن أبيه وعمرو العاص. ففي كل تلك القضايا لم يسب الإمام شخصا ما، كما لم يلعن أحدا ما، بل عرف الإمام واقعهم الحقيقي للناس، وفضح ممارساتهم. في الواقع أظهر واقع سلوكهم، لأصحابه، كي يعلموا كيفية القيام بالعمل الديني الصحيح.

واجه الإمام (ع) في عهد خلافته سلوكيات منحرفة كثيرة، كان بإمكان كل منها أن تتحول إلى انحراف كبير، واضطر الإمام (ع)، أن يقابل الانحرافات بقوة وصرامة، ففي بعض الأحيان كانت تلك الانحرافات تشكل تيارا مهما، على غرار انحراف الخوارج والشبهات التي ألقاها بعضهم في حرب الجمل والصفين والنهروان، هذا وكان مصدر الانحرافات أشخاص، منهم من ناصر الإمام مثل الأشعث بن قيس وزياد بن أبيه، ومنهم من اتخذ موقف المعارض من الإمام مثل معاوية وعمرو بن العاص. كشف الإمام (ع) بكلامه البليغ وجوههم الحقيقي للناس.

#### المصادر

##### القرآن الكريم.

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (١٩٩٥). شرح نهج البلاغة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن أثير، محمد بن مبارك (١٩٨٨). النهاية في غريب الحديث والأثر. محقق: محمود محمد طناحي. قم: مؤسسة اسماعيليان المطبوعاتية.

ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (١٤١١). الفتوح. تحقيق علي شيري. بيروت: دار الأضواء. الطبعة الأولى.

رقم	نوع الدم	المخاطب	الخطبة/الرسالة	خ
١٥	انه تشبيه وليس سبا	النساء	خ ٨٠	
١٦	انه تشبيه وليس سبا	أهل الشام	خ ١٠٧	
١٧	انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ١٠٨	
١٨	انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ١٢١	
١٩	انه تشبيه وليس سبا	جنوده	خ ١٢٣	
٢٠	انه تشبيه وليس سبا	الخوارج	خ ١٢٧	
٢١	انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ١٣١	
٢٢	اللعن	مغيرة الأخنس	خ ١٣٥	
٢٣	انه تشبيه وليس سبا	طلحة	خ ١٣٧	
٢٤	انه تشبيه وليس سبا	أهل البصرة	خ ١٥٦	
٢٥	انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ١٧٥	
٢٦	انه تشبيه وليس سبا	أهل الكوفة	خ ١٨٠	
٢٧	انه تشبيه وليس سبا	الخوارج	خ ١٨١	
٢٨	اللعن	البرج بن مسهر	خ ١٨٤	
٢٩	اللعن	ابن الكواء	خ ١٩٣	
٣٠	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	خ ٢٠٠	
٣١	انه تشبيه وليس سبا	علاء بن زياد	خ ٢٠٩	
٣٢	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ١٠	
٣٣	انه تشبيه وليس سبا	النساء	ر ١٤	
٣٤	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ١٧	
٣٥	انه تشبيه وليس سبا	زياد بن أبيه	ر ٢١	
٣٦	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ٢٨	
٣٧	انه تشبيه وليس سبا	النساء	ر ٣١	
٣٨	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ٣٢	
٣٩	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ٣٧	
٤٠	انه تشبيه وليس سبا	عمرو العاص	ر ٣٩	
٤١	انه تشبيه وليس سبا	معاوية	ر ٦٤	
٤٢	انه تشبيه وليس سبا	النساء	خ ٢٣٨	

#### الخاتمة

بعدما خضنا ثنايا الخطب والرسائل والحكم أعلاه، ظهر لنا النتيجة التالية: هناك فرق بين السب واللعن، وقد ذهب علماء اللغة أنهما ليسا مرادفين، لكن للعن مفهوم مختلف، ويعني الابتعاد عن الرحمة، ويظهر هذا الاختلاف في القرآن، أما مفردة اللعن وردت في القرآن ٣٨ مرة، ولعن الله تعالى فئات مثل إبليس وأتباعه لأفكارهم وسلوكهم، فاستحقوا العذاب، وهذا يدل على جواز استخدامه من منظور الله تعالى في القرآن. أما مفردة السب فقد وردت في القرآن مرة واحدة، ونهى الله تعالى الناس عن شتم أعداء الله.

أما في السنة النبوية نرى هناك العشرات من الأحاديث

## دراسة طبيعة السبِّ واللعن عند الإمام علي (ع) في نهج البلاغة / ٧٣

الدليمي، حسن بن محمد (١٩٨٧). *أعلام الدين في صفات المؤمنين*. محقق: مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث. قم: مؤسسة آل البيت (ع) لاحياء التراث.  
الدينوري، أحمد بن داود (١٩٩٩). *اخبار الطوال*. قم: منشورات الرضي.

الرضي، الشريف (١٣٨٦). *نهج البلاغة*، ترجمة: محمد دشتي، قم، هادي مجد، الطبعة الأولى.

الزركلي، خير الدين (١٩٩٩). *الأعلام*. بيروت: دار صادر.  
الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم. (١٤١٠). *الملل والنحل*. تصحيح: أحمد فهمي محمد. بيروت: دارالكتب العلمية.

الشيخ المفيد، محمد بن نعمان (٢٠٠٠). *أماله*. قم: مجمع مدرسي الحوزة العلمية في قم.

الطبرسي، أبوالفضل بن حسن (١٤٠٦). *مجمع البيان في تفسير القرآن*. طهران: انتشارات ناصرخسرو. الطبعة الثانية

الطبري، محمد بن جرير (١٣٨٧). *تأريخ الطبري (تأريخ الرسل والملوك والامم)*. مقدمة محمد أبوالفضل ابراهيم. بيروت: دار التراث. الطبعة الثانية.

الطريحي، فخر الدين بن محمد (١٩٩٦) و *مجمع البحرين*. تحقيق: حسيني اشكوري. طهران: المكتبة المرتضوية.

قمي، الشيخ الصدوق (١٩٩٣) و *من لا يحضره الفقيه*. قم: مجمع مدرسي الحوزة العلمية في قم.

الكليني الرازي، محمد بن يعقوب (١٩٩٦) و *الكافي*. بيروت: دار إحياء التراث.

مجد، محمد (٢٠٠٢). *علم نفس الرجال والنساء، الإنسان في صورتين*. التنقيح: مجيد موحدخواه. طهران: مؤسسة مكيال الثقافية للنشر. الطبعة الثانية.

المسعودي، علي بن حسين (١٤٠٩). *تأريخ المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر)*. محقق: يوسف اسعد داغر. قم: مؤسسة دار الهجرة.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (د. ت). *تأريخ اليعقوبي*. وازح الكاتب العباسي. بيروت: دار صادر.

ابن الأثير الجزري، أبو الحسن عزالدين (١٤٠٩). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. بيروت: دار الفكر.

ابن خياط، أبو عمرو خليفه بن خياط ليثي عصفري (١٤١٥). *تأريخ خليفه بن خياط*. تحقيق فواز. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

ابن سعد، محمد هاشمي بصري (١٤١٠). *الطبقات الكبرى*. تحقيق محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.

ابن عساكر (١٤٢١) *تأريخ مدينة دمشق*. بيروت: طبع علي شيري.

ابن قتيبه، عبدالله (٢٠٠٩) *المعارف*. تحقيق ثروت عكاشه. القاهرة: دون اسم.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٦). *لسان العرب*. بيروت: دار الصادر.

ابن هشام، عبد الملك (د. ت). *السيرة النبوية*. تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الاياري و عبد الحفيظ شلبي. بيروت: دار المعرفة.

أبوشباب، أحمد عوض (١٤٢٦). *الخوارج: تأريخهم، فرقتهم، وعقائدهم*. بيروت: دون اسم.

الاصفهاني، راغب (١٩٩٧). *معجم مفردات الفاظ قرآن الكريم*. تحقيق: نديم مرعشلي. طهران: انتشارات ناصر خسرو. الطبعة الثانية.

بسيوني زغلول، اعداد أبو هاجر محمد السعيد بن موسوعه (١٤١٠). *اطراف الحديث النبوي الشريف*. بيروت: عالم التراث.

البلاذري، أحمد بن يحيى (٢٠٠٠). *أنساب الأشراف*. دمشق: طبع محمود فردوس العظم.

الجزري، ابن الأثير علي بن محمد (١٣٨٥). *الكامل في التأريخ*. بيروت: دار صادر.

جوهري، اسماعيل بن حماد (١٤١٦). *الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربية*. محقق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين.

دهخدا، علي اكبر (١٩٤٦). *الموسوعة*. تحت إشراف محمد معين. انتشارات المصرف الأهلي.



## بررسی ماهیت لعن و نفرین‌های امام علی (ع) در نهج البلاغه

اکبر توحیدلو\*

### چکیده

سبّ و لعن از موضوعاتی هستند که طی تاریخ اسلام از آنها سخن به میان آمده و نزاع‌هایی در آن وجود داشته است. هر چند به ظاهر دو واژه سبّ و لعن مترادف به نظر می‌رسند؛ اما با دقت در معنای لغوی و موارد کاربرد آنها در آیات و احادیث درمی‌یابیم که دارای دو مفهوم متفاوت‌اند. تفکیک نشدن مفهوم آن دو باعث ایجاد شبهه‌های گوناگون و اتهام‌هایی در میان پیروان مذاهب اسلامی شده است. مقاله حاضر بررسی مواردی است که در خلال خطبه‌ها، نامه‌ها و حکمت‌های نهج البلاغه مستلزم نوعی توهین به برخی است. پس از بررسی‌ها این نتایج به دست آمد که بین سبّ و لعن تفاوت وجود دارد و علمای علم لغت سبّ و شتم را مترادف دانسته‌اند. اما لعن معنایی متفاوت دارد و به معنی دوری از رحمت است و همانند علم لغت در قرآن نیز این تفاوت مشاهده می‌شود و این نشان از جواز استعمال آن دارد. با مشاهده سنت نبوی هم‌دها حدیث از پیامبر اکرم (ص) وجود دارد که مشتمل است بر لعن مشرکان و منافقان و دشمنان رسالت و اهل کتاب و کسانی که با مسلمانان دشمنی‌های فراوانی داشته‌اند مورد لعن قرار گرفتند. این مقاله به روش کتابخانه‌ای و با بررسی کلیه خطبه‌ها، نامه‌ها و حکمت‌های نهج البلاغه انجام شده است.

واژگان کلیدی: سبّ، لعن، نهج البلاغه، امام علی (ع).